



على امتداد سنوات العقد المنصرم لم تحظ منطقة من مناطق العالم بأهمية أكبر مما حظيت به منطقة الشرق الأوسط، وتوجد في مركز هذه المنطقة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي أثارت قلق جيرانها الخليجيين بشأن أهدافها، بحسب دراسة حديثة صادرة عن "مركز الخليج للأبحاث"، ومقره جنيف بسويسرا، والتي جاءت تحت عنوان: "إيران والربيع العربي: إفساد مساعي الهيمنة" لشهرام شوبين، المتخصص في الشؤون السياسية الإيرانية، فإنه لا يمكن فصل سياسة إيران الإقليمية عن نهج طهران تجاه الولايات المتحدة؛ فلقد كانت مواجهة الولايات المتحدة والنظام الإقليمي الذي ترعاه تمثل مصلحة جوهرية بالنسبة لإيران منذ قيام الثورة الإسلامية.

وفي العقد الماضي صار الهدف قريباً على نحوٍ مُغْرِّ، ثم لم يلبث أنْ جاء الربيع العربي في سنة 2011م وأطاح به، ومنذ ذلك الحين واجهت إيران بيئة إقليمية تُظهر درجة أقل من سلاسة الانفصال، وذلك في ظل: ضعف الحلفاء، وازدياد قوة الخصوم، واتجاه الأنظمة الجديدة - بعد الربيع العربي - لرفض التدخلات الخارجية.

#### الجغرافيا السياسية للمنطقة

لم يفسح الربيع العربي بعد الطريق للصيف المنشود - كما تشير الدراسة - لكن بالنسبة لإيران تحول هذا الربيع بالفعل إلى "شتاء ساخط"؛ حيث تجد رسالتها الثورية ضعيفة، وأنَّ الأحداث تجاوزتها، خاصة مع ضعف حليفها السوري وزيادة السخط في المنطقة على دورها في مساندة نظام بشار الأسد.

ولم يُفْضِ عدم الاستقرار الإقليمي واسع الانتشار إلى توسيع قوة إيران ونفوذها؛ حيث وجدت طهران نفسها في موقف رد الفعل تجاه الأحداث بدلاً من توجيه هذه الأحداث.

وكما تشير الدراسة، فلقد كانت "الтикبات" الإيرانية - في مرحلة ما قبل الربيع العربي - أن تكون طهران في وضع لا يتمنى فيه حسم أية قضية إقليمية دون الرجوع إليها، مثل الاتحاد السوفيتي السابق أثناء الحرب الباردة.

ولضمان هذا فإنّها تتوارد في القضايا كافة، سواء بغرض انتقاء نتائج غير مرغوب فيها، أو اكتساب أوراق تفاوضية تبادلها بأشياء ذات مصلحة مباشرة أكبر بالنسبة لها، وهو ما كان يعنيــ ضمناًــ وجوداً إيرانياً في كل أنحاء المنطقة على الصعيد السياسي، واستثماراً شاملاً في الجماعات الشيعية والسنّية (حزب الله وحركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي)، أو في جيش المهدي وحزب الدعوة الإسلامية والمجلس الأعلى الإسلامي العراقي كما في العراق، وفي القوات المناهضة لطالبان والمؤيدة لها في أفغانستان، بما في ذلك تنظيم "القاعدة".

وكانــ أدــةــ هــذــاــ الــانــخــراــطــ الإــقــلــيــمــيــ هوــ فــيــلــقــ الــقــدــســ التــابــعــ لــلــحــرــســ الثــوــرــيــ الإــيرــانــيــ.

### إيران وتحديات ما بعد الربيع العربي

لقد خلف الربيع العربيــ تحديات للنفوذ الإيرانيــ ومنها:

تشديد العقوبات الدولية، وزيادة الصدع الطائفي في المنطقة الذي لا يصب في مصلحة طهران، إضافة إلى: الوحدة والتصميم الجديدين من جانب مجلس التعاون الخليجي لمواجهة إيران إذا لزم الأمر، وتخلّي حماس عن "جبهة الممانعة"، وتضاؤل جاذبية إيران الإقليمية، وضعفــ إنــ لمــ يــكــنــ انهــيارــ نظامــ الأــســدــ فيــ سورــياــ.

في مواجهة هذه الأوضاع فإنــ إــیرــانــ تــمــتــلــکــ مــنــ النــاــحــیــةــ النــظــرــیــةــ ثــلــاثــةــ بــدــائــلــ لــلــتــعــاــلــ مــعــ هــذــهــ التــحــدــیــاتــ،ــ وــهــيــ عــلــىــ النــحــوــ التــالــیــ:

ــ إــبــدــاءــ الــمــرــوــنــةــ فــيــ الــمــفــاــوــضــاتــ الــدــوــلــيــةــ وــالــســعــيــ إــلــىــ إــيقــافــ الــعــقــوــبــاتــ،ــ وــيــشــمــلــ هــذــاــ مــحاــوــلــاتــ الــعــثــوــرــ عــلــىــ عــمــلــاءــ جــدــدــ لــلــنــفــطــ،ــ وــالــالــتــفــاــفــ عــلــىــ الــعــقــوــبــاتــ بــطــرــيــقــةــ مــبــتــكــرــةــ،ــ وــالــعــثــوــرــ عــلــىــ حــلــفــاءــ جــدــ.ــ وــعــلــيــهــ ســيــكــوــنــ هــنــاكــ ســعــيــ نــحــوــ تــسوــيــةــ (ــإــســتــرــاــتــيــجــيــةــ)ــ بــشــأنــ الــقــضــيــةــ الــنــوــوــيــةــ لــتــقــلــيــصــ هــذــهــ الضــغــوــطــ.

ــ مــقاــوــمــةــ هــذــهــ الــقــيــوــدــ الــجــدــيــدــ فــيــ الــمــنــطــقــةــ مــنــ خــلــالــ تــصــعــيــدــ الــهــجــوــمــ إــقــلــيــمــيــاــ لــتــحــســيــنــ مــوــقــفــهــاــ التــفــاوــضــيــ (ــعــلــىــ ســبــيــلــ الــمــثــالــ:ــ زــيــادــةــ التــكــالــيــفــ فــيــ سورــياــ وــالــيــمــ).

ــ الرــضــوــخــ وــالتــعــاــيــشــ مــعــ الــوــاـ~ـقــ الــجــدــيــدــ،ــ مــعــ التــأــكــيدــ عــلــىــ مــنــافــعــ الــاعــتــمــادــ عــلــىــ النــفــســ،ــ وــالــتــصــمــيمــ عــلــىــ دــمــرــيــةــ ثــنــيــهــاــ عــنــ مــبــادــئــهــاــ،ــ وــالــرــضــاــ بــتــحــمــلــ الــضــغــوــطــ بــتــســوــيــاتــ وــ"ــتــنــازــلــاتــ"ــ تــكــيــكــيــةــ دــوــنــ التــنــازــلــ عــنــ شــيــءــ جــوــهــرــيــ كــثــيرــ،ــ أــوــ التــخــلــيــ عــنــ دــوــرــهــاــ الثــوــرــيــ.

إنــ أحدــ التــعــقــيــدــاتــ بــالــنــســبــةــ لــإــیرــانــ فــيــ مــرــحــلــةــ ماــ بــعــدــ الرــبــيــعــ الــعــرــبــيــ هوــ اــرــتــبــاطــ دــوــرــهــاــ إــلــىــ إــقــلــيــمــيــ الــثــوــرــيــ بــشــرــعــيــةــ نــظــامــهــاــ الدــاخــلــيــ؛ــ فــهــلــ تــحــتــمــ إــیرــانــ ســيــاــســيــاــ أــنــ تــخــلــيــ عــنــ "ــإــلــهــســاســ بــأــنــهــاــ مــحــاــطــةــ بــالــأــعــادــ؟ــ،ــ وــهــوــ إــلــهــســاســ الــذــيــ تــســتــغــلــهــ دــاخــلــيــاــ،ــ بــحــســبــ الــدــرــاــســةــ.

الواقعــ أــنــ إــیرــانــ فــعــلتــ أــشــيــاءــ مــنــ الــبــدــائــلــ الــثــلــاثــةــ،ــ مــســتــخــدــمــةــ الــمــفــاــوــضــاتــ الــنــوــوــيــةــ لــلــإــيــاهــ بــمــرــونــتــهــاــ،ــ ســاعــيــةــ إــلــىــ إــحــدــاــتــ انــقــســامــ بــيــنــ مــجــمــوــعــةــ الــدــوــلــ الــســيــتــ (ــ5ـ~ـ+ـ~ـ1ــ)،ــ مــعــ وــجــودــ بــعــضــ الــاــســتــجــاــبــةــ فــيــ رــوــســيــاــ وــالــصــينــ،ــ وــقــدــ لــجــأــتــ إــیرــانــ إــلــىــ بــيــعــ نــفــطــهــ ســرــاــ (ــأــيــ)ــ عــنــ طــرــيــقــ التــجــارــ لــاـ~ـعــنـ~ـ طــرــيــقـ~ـ الــحــكــومــاتـ~ـ)،ــ وــعــلــىــ الرــغــمــ مــنـ~ـ ذــلــكـ~ـ اــنــخــفــضـ~ـتـ~ـ الــمــبــيــعــاتـ~ـ وــخــفــضـ~ـتـ~ـ الــأــســعـ~ـارـ~ـ،ــ وــبــالــتــالــيـ~ـ فــإــنـ~ـ تــكــلــفـ~ـةـ~ـ الــعــقــوــبـ~ـاتـ~ـ مــلــمــوــسـ~ـةـ~ـ.

وــأــشــارــتـ~ـ الــدــرــاــسـ~ـةـ~ـ إــلــىـ~ـ أــنـ~ـ كــثــيرـ~ـاــ مـ~ـاـ~ـهـ~ـدـ~ـدـ~ـتـ~ـ إـ~ـیر~~ان~~ بـ~ـالــإـ~ـقـ~ـدـ~ـام~~ عـ~ـلـ~ـى~~ فـ~ـعـ~ـلـ~ـ مـ~ـتـ~ـهـ~ـوـ~ـ إـ~ـذـ~ـا~~ ضـ~ـيــقـ~ـ عـ~ـلـ~ـيـ~ـهـ~ـا~~ الـ~ـخـ~ـنـ~ـاـ~ـق~~،ـ~ـ مـ~ـسـ~ـتـ~ـشـ~ـهـ~ـدـ~ـةـ~ـ بـ~ـفـ~ـرـ~ـضـ~ـيـ~ـةـ~ـ إـ~ـمـ~ـاـ~ـ

الــجــمــيــعـ~ـ بـ~ـمـ~ـأـ~ـمـ~ـ أـ~ـوـ~ـ لـ~ـأـ~ـحـ~ـدـ~ـ،ـ~ـ وـ~ـهـ~ـيـ~ـ مـ~ـقـ~ـوـ~ـلـ~ـةـ~ـ سـ~ـعـ~ـتـ~ـ إـ~ـیر~~ان~~ إـ~ـلـ~ـى~~ تـ~ـفـ~ـعـ~ـلـ~ـهـ~ـا~~ أـ~ـثـ~ـنـ~ـاءـ~ـ "ــحــرــبـ~ـ النـ~ـاقـ~ـلـ~ـاتـ~ـ"ـ~ـ مـ~ـعـ~ـ الـ~ـعـ~ـرـ~ـاقـ~~،ـ~ـ فـ~ـيـ~ـ ثـ~ـمـ~ـانـ~ـيـ~ـنـ~ـيـ~ـاتـ~ـ الـ~ـقـ~ـرـ~ـنـ~~ الـ~ـمـ~ـاضـ~ـيـ~~.ـ~ـ وـ~ـقـ~ـدـ~ـ اـ~ـنـ~ـتـ~ـهـ~ـىـ~ـ هـ~ـذـ~ـاـ~ـ الـ~ـحـ~ـدـ~ـثـ~~ نـ~ـهـ~ـاـ~ـيـ~ـةـ~~ غـ~ـيرـ~ـ سـ~ـارـ~ـةـ~~ بـ~ـالـ~ـنـ~ـسـ~ـبـ~ـةـ~~ إـ~~یر~~ان~~،ـ~ـ عـ~~لـ~ـىـ~ـ الرـ~ـغـ~ـمـ~ـ مـ~ـنـ~~ الـ~ـذـ~ـاــكـ~ـرـ~~ الـ~ـاــنـ~ـقـ~ـائـ~ـيـ~~!ـ~~

وــكــمـ~ـ رـ~ـأـ~ـيـ~ـاـ~ـ،ـ~ـ فـ~ـإـ~~یر~~ان~~ "ــتـ~ـقاـ~ـوـ~ـمـ~ـ إـ~~قـ~~لـ~~يـ~~مـ~~يـ~~اـ~~"ـ~ـ فـ~ـيـ~~ الـ~~يـ~~مـ~~ وـ~~سـ~~وـ~~رـ~~يـ~~ا~~ وـ~~رـ~~بـ~~مـ~~ا~~ الـ~~عـ~~رـ~~اقـ~~،ـ~ـ وـ~ـكـ~ـذـ~ـكـ~~ فـ~~يـ~~ "ـ~ـحـ~ـرـ~ـ الـ~ـظـ~ـلـ~~"ـ~ـ بـ~~يـ~~نـ~~هـ~~ا~~ وـ~~بـ~~يـ~~نـ~~ إـ~~سـ~~رـ~~ائـ~~يلـ~~،ـ~ـ وـ~ـقـ~~د~~

تواصل فعل ذلك لكنْ من غير المرجح أنْ تشن "هجوماً؛ لأنَّ هذا سيثير ردود أفعال من القوات الأمريكية الموجدة قريباً منها.

كما أنَّ هناك الجبهة المحلية، حيث تُسمى إيران العقوبات نعمةً واحتباراً لمبادئ الثورة، ولاسيما الصمود، وسوف تتأكد من أنَّه على الرغم من التضخم فإنَّ جمهور أنصارها الأساسي لم يتأثر سلبياً، وسوف يسعى إلى أنْ يُنحي باللائمة في هذه المصاعب التي تعيشها البلاد علىقوى الخارجية، مع المناداة بالوحدة الداخلية بدلاً من التنافس الفئوي أو نقد الذات.

### مستقبل النفوذ الإيراني

السؤال الذي يفرض نفسه في الدراسة هو:

ماذا عن النفوذ الإيراني بعد الربيع العربي في المنطقة؟

اللافت أنَّه في الوقت الذي يُعدُّ فيه تيارُ الإسلام السياسي الفائز الأكبر من الربيع العربي فإنَّ إيران من أكبر الخاسرين، بحسب ما أفادت الدراسة.

وذهبت الدراسة إلى القول بأنَّ إيران لم تكن مستعدة للربيع العربي، على العكس من باقي الدول الأخرى، مضيفةً أنَّ إيران تفاجأت بالوحدة الخليجية إزاء ما يحدث في البحرين.

ويبدو أنَّ إيران لم تكن راغبة في المجازفة بعلاقتها مع باقي دول الخليج العربي بسبب مستقبل البحرين، وقد تطورت التصورات العربية عن إيران حتى صار العرب يرونها تأخذ مكان إسرائيل بوصفها تمثل تهديداً كبيراً لهم؛ إذ هم الآن يرون جارتهم الفارسية كـ"دولة تمارس الهيمنة، وتحاول تنفيذ سياسات تدخلية بشكل عدواني وربما تكون توسعية...".

وترى الدراسة أنَّ إيران ربما تعاني من مواطن ضعف في الداخل، لكنَّها ليست على وشك الانهيار؛ حيث يستفيد النظام من الشروح المجتمعية التي مازالت تعطيه جماهيرية كبيرة بدرجة كافية للبقاء في السلطة بالقوة متى دعت الضرورة إلى ذلك.

إنَّ ما يمكنه أنْ يغيِّر الأمور في إيران هو: مزيج من تراجع كبير وعاجل ومستدام في أسعار النفط، وانخفاض الطاقة الإنتاجية، والأثر التراكمي المؤلم للعقوبات.

المصادر: